

المستخلص

أيهاب لطفي رشيد . المنحى البلاغي في النقد العراقي الحديث بعد الحرب العالمية الثانية (أطروحة دكتوراه) . - بغداد : الجامعة المستنصرية : القسم اللغة العربية ، ٢٠٠٨ ،

بعد أن اكتملت فصول الأطروحة أود أن أوجز النتائج التي انتهت إليها:

- لا غنى لمن يمارس الكتابة النقدية في أيّ اتجاه من اتجاهاتها ، من أن يكون ملمّاً بعلم البلاغة، لان المعارف اللسانية والنقدية الحديثة تصدر عن مفردات البحث البلاغي ، بمستويات مختلفة. كما انّه يمكن الإفادة من هذه المعارف في تجديد علم البلاغة بحيث يصبح مسائراً للتطور الأسلوبي في الشعر الحديث وفاعلاً في توجيهه وتقويمه .
- إنّ علوم المعاني والبيان والبديع لا تشكل الصورة الكاملة والنهائية للبلاغة العربية الموروثة . وإنما تمثلت هذه المكونات في مشروع السكاكي البلاغي ، وتبعه علماء آخرون معتمدون نهجه في التقسيم . وقد رأيت أنّ مكونات التحليل البلاغية يمكن إجمالها في الصورة والأسلوب والمضمون ، لان هذه المفاهيم البلاغية النقدية تنمهي في علوم البلاغة الثلاثة ، كما أنّها حاضرة في التحليل البلاغي والنقدي القديم والحديث ، فضلاً عن أنّ هذه العلوم ارتبطت بالبلاغة بصفاتها علماً له معايير وأصوله ومصطلحاته وتقنياته ، أكثر من ارتباطها بها بصفاتها منهجاً في تحليل النصوص تتداخل وظائفه مع وظائف النقد وترتبط معه بوشائج لغوية وأسلوبية وذوقية . فبلاغة السكاكي معضّدة بالنحو والمنطق على حساب أدبية الأدب .
- إنّ دراسة العمل الأدبي من خلال صورته وأساليبه ومضامينه ليست تجزئة له أو تقويضاً لوحده الفنية . وإنما يُعمدُ إلى هذا التقسيم لان النقد ينهج نهجاً موضوعياً عقلياً ، مع انه لا يغفل اثر الحس والذوق والجمال . ويمكن تجاوز سلبيات التقسيم أو التجزئة عندما يحقق الناقد رؤية شمولية في أثناء دراسته لأية جزئية شعرية ، فمثلاً حينما يتناول الصورة لا

ينظر إليها على أنها وحدة منفصلة عن جزئيات العمل الأدبي الأخرى ، بل تعالين مقترنة باللغة والأسلوب اللذين يصوغانها على وفق نظام محدد ، فضلا عن ارتباطها بالمضمون الذي يعينها دلاليًا وفنيًا . وهذا ما ينتهج في تناول أيّ مكون من مكونات التحليل البلاغي .

- من خلال دراستي للمنحى البلاغي في مؤلفات النقاد العراقيين يمكن أن نستنتج أنها تتوزع بين ثلاثة اتجاهات :

الأول : اتجاه إتباعي سار على نهج البلاغيين والنقاد القدماء ، واقتفى أساليبهم في تبين المعاني المكرورة والمبتكرة ، واعتمد تقسيماتهم للصور التشبيهية والاستعارية والكنائية وكانت قراءة بعض المؤلفين للتراث النقدي قاصرة ، فحين يعرضون - مثلا - ثنائية اللفظ والمعنى يحسبون أنّ القدماء ، فصلوا بينهما فصلاً تاماً ، إذ لم يهتدوا إلى ما توصل إليه الجاحظ والجرجاني وقدامه من كشف للصلة العضوية التي تشدّ اللفظ إلى المعنى بعلاقات متداخلة قوامها النسيج والتصوير والنظم .. وربما كانت قراءة بعضهم للنصوص الشعرية أحادية ضيقة ، إذ اغفلوا الجانب الإيحائي والتخييلي والنفسي ودوره في التشكيل الشعري .

الثاني : اتجاه يتمثل النهج البلاغي القديم برؤية نقدية معاصرة ، تستوحي الظاهرة البلاغية ، وتشير إلى بعدها الفني آخذة بنظر الاعتبار ذوق العصر وأثره في إقبال الشعراء على فنون بلاغية بعينها ، ومن ثمّ تلمس الطاقة الإبداعية في شعر المجيدين وفساد النظم عند الشعراء المجترين .

الثالث : اتجاه تجديدي يتجه إلى الظواهر البلاغية السائدة في الشعر الحديث - كظاهرة التكرار - بغية تقويم طرق تناولها ، وتحليلها ، في محاولة لتأسيس بلاغة جديدة تسير التطور الناشئ في أساليب التعبير والإنشاء . وان ذلك أفضى إلى تبلور مصطلحات بلاغية جديدة استنبطها بعض النقاد من البنية الشعرية الحديثة ، التي تخرج في كثير من الأحيان عن أساليب القدماء ، ومن ذلك مصطلح (التكبير) الذي يعدّ قيمة جمالية ويستوعب عدداً من المصطلحات البلاغية كالإطناب

والتشبيه التمثيلي والتشبيه المركب . وتربو دلالاته على دلالات المصطلحات البلاغية القديمة إذ يستوعب الصور والمعاني الفرعية الماثلة في المضمون العام للقصيدة .

- لقد نفذَ النقاد العراقيون إلى المفاهيم النقدية الغربية التي أدركوا تقاربها مع تناول البلاغي .
فهناك - على سبيل المثال - أكثر من سبب يوطد العلاقة بين مفهوم الانزياح الذي أرساه كوهن وبين الحديث عن قضية المجاز والنمط الخاص في التعبير الذي حدده الجرجاني ولا غرابة في وجود هذه الوشائج وغيرها ، إذ إن هذه المفاهيم تعد من الكليات التي تنطبق على مختلف الآداب عند سائر الأمم .

- امتداد علم البلاغة في كثير من الاتجاهات النقدية الحديثة يتضمن أشارات - مباشرة أو ضمنية - إلى أهمية النتاج البلاغي الموروث الذي استوعب العملية البيانية في نظرية نقدية عربية استندت إلى قواعد النحو ، وأصول المنطق والفلسفة . كما أنّ تضمن المفاهيم النقدية الحديثة لملاحظات الأسلاف التي انتظمت في مصنفاتهم منذ قرون طويلة يدعو إلى تعميق الوعي بالتراث البلاغي ، ذلك أنّ آراء الجاحظ والجرجاني والقرطاجني وغيرهم تتجاذبها النظريات اللسانية والنقدية في مستويات مختلفة . وأظنها حملت كثيراً من النقاد العراقيين إلى ممارسة التحليل البلاغي ، وأسهمت أسهاماً كبيراً في إغناء نتاجاتهم النقدية .

- لقد أسهمت حركة الشعر الحديث في توطيد رؤية بلاغية جديدة ، إذ إن رؤية العمل الشعري مشكلا في بنية كلية قد أنتج نزوعاً إلى تحري العلاقة المحورية التي تربط بين أجزاء القصيدة كلّها . وهذا بدوره قد أدى إلى انتقال من وعي إلى وعي آخر متطور عنه . فبعد أن كان البلاغيون يتحرون التشبيه والتمثيل والاستعارة والمعنى في البيت الشعري المنفرد ، اتجهت الدراسات النقدية الحديثة إلى تلمس العلائق والروابط التي تصل بين الصور البسيطة وتجمعها في صورة كلية تتضمن النص الشعري برمته .